

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير

الصبر على الطاعة من أفضل أعمال البر

■ كان صبر يوسف

عن مطاوعة امرأة

العزیز أكمل

من صبره على

إلقاء إخوته له

في الحب وبيعه

لأنها أمور جرت

بغير اختياره

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من



إليه وأكثره من مفسدة وجود المعصية).

وما قاله شيخ الإسلام هو الحق، فقد قرن الله بين الصبر والإيمان والعمل، حيث قال في سورة العنصر: «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر». ولهذا قال الشافعي -رحمه الله-: لو لم ينزل من القرآن إلا هذه السورة لكانت كافية وحجة على الأمة.

والدليل على ذلك أن كثيراً من الخلق يسهل عليهم الصبر على المصائب والبلايا وعن المعاصي، ولكن قليل منهم من يصبر على طاعة الله عز وجل. بل من الناس من يصبر على المعاصي ويتحمل من أجلها ما لا يتحمل معشار معشاره على طاعة الله عز وجل.

قال المزني رحمه الله: سمعتُ الشافعي -رحمه الله- يقول: رأيت بالمدينة المنورة أربع عجائب، رأيت جدّة بنت إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلاً فسه القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره لجمع حافياً رجلاً على اللبثات يعلفهن الغناء، فإذا أتى الصلاة صلى قاعداً، ونسيت الرابعة.

وشاهدنا في قومه: «رأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون...» إلخ.

وما تعجب منه الشافعي، وحق له أن يعد ذلك من العجائب، مُشاهد، فإنك تجد البائع وفقاً في سوقه من الصباح إلى المساء لا يفتقر ولا يفتقد، وكذلك مشجع الكرة يقف على رجل واحدة ويصيح يملء فيه ويدخل للملعب قبل ثلاث ساعات من موعد المباراة، وتجد الفنان يقيم الحفلة إلى مشارف الصبح، والمصلي يخرج من المسجد يقف يتكلم في أمور الدنيا الساعة والساعة، وغيرهم كثير، فإذا استقرت الصلاة أربع ساعة، أو أظان الإمام في ركوعه وسجوده قليلاً، قامت الدنيا ولم تقعد، وتضجر الناس، واشتكوا، ومنهم من يشكو الإمام إلى المسؤولين وإلى لجنة المسجد، ورفع في وجه الإمام كلمة الحق التي يريدون بها

■ كثير من الخلق

يسهل عليهم

الصبر على

المصائب والبلايا

وعن المعاصي

ولكن قليلاً منهم

من يصبر على

طاعة الله

قال الشافعي: «رأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره لجمع حافياً رجلاً على اللبثات يعلفهن الغناء، فإذا أتى نصفه صبر والنصف الآخر لشكر، وقد ذكر الصبر في القرآن في تسعين موضعاً في موطن المدح والنذاء والأمر به، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو أنواع:

1. الصبر على طاعة الله، وهو الفضلها.

2. الصبر عن معصية الله عز وجل، وهو يلي النوع الأول في الفضل.

3. الصبر على امتحان الله عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه».

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها اكل من صبره على إلقاء إخوته له في الحب، وبيعه، وتقريبهم بيته وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، ولا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، أما صبره عن المعصية، قصير الاختيار ورضاء، وحاربة للنفس، ولا ينميا مع الأسباب التي تقوى معها ذواعي الموافقة، فإنه كان شاعياً، وداعية الشياطين إليها قوية، وعزياً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غريبته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ويمتلكو والملوك أيضاً ليس له وأزع كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والجريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيماناً لما عند الله، وأين هذا من صبره في الحب على ما ليس من كسبه؟!

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات اكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك للمعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض

نزلت في جذر قلوب الرجال قبل هبوط الوحي بكتاب الله

الأمانة.. ضمير حي إلى جانب فهم صحيح للقرآن والسنة

الإاماة التي تدعو الى رعاية الحقوق، وتصمم عن الدنيا، لا تكون بهذه المثابة الا اذا استقرت في وجدان المرء، ورست في أعماله، وهيمت على الداعي والقاصي من مشاعره، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فلعلموا من القرآن وعلموا من السنة، والعلم بالشريعة لا يغني عن العمل بها، والامانة ضمير حي الى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

واذا مات الضمير انتزعت الامانة، فما يغني عن المرء ترديد لأليات، ولا دراسة للنسج، وأدعياه الاسلام يزعمون للناس وقد يزعمون لانفسهم أنهم ائمة، ولكن هيهات ان تستقر الامانة في قلب تنكر للحق ومن ثم يستطرد حذيفة في وصفه، لتسرب الامانة من القلوب التي تتخلف فيها البين، فيروى عن الرسول: «ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال: ينأى الرجل التومة فتنتقل الامانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر اللجل كالثوبور التي تظهر في اليد مثلاً في استخدام الأدوات الخشنة ثم قال: فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الامانة؛ حتى يُقال: «ان في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يُقال للرجل: ما أجده ما أقره ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من امانة»، والحديث يصور انتزاع الامانة من القلوب الخائنة تصويراً مخرجاً فهي كذكريات الخير في النفوس الشريرة، تمر بها وليست منها، وقد تترك من مرها اثراً لأعما، بيد أنها لا تحيي ضميراً مات،

واصبح صاحبه يزن الناس على أساس أثرته وشهوته، غير مكتر بذكر أو ايمان؟! ان الامانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهزأيل، وقد ضرب الله المثل لنضامتها، فأبان أنها ثقيل كاهل الوجود فلا يتغنى للانسان ان يستهين بها، أو يفرط في حقها. قال الله تعالى: «اناعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابتن ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا»، والظلم والجهل اقلتان عرضتا للفطرة الاولى، وغنى الانسان جهادهما، فلن يخلص له ايمان، الا اذا تقاه من الظلم: «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن» ولن تخلص له تقوى الا اذا تقاهما من

الجهالة: «انما يخشى الله من عباده العلماء»، ولذلك يعد ان تقرا الآية التي حملت الانسان الامانة تجد ان الذين غلبهم الظلم والجهل، خانوا وانافقوا واشركوا، فحق عليهم العقاب، ولم تكن السلامة الا لاهل الايمان والامانة: «ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الهن غفورا رحيما».

الوفاء اذا أكرم المسلم عقدا فوجب ان يحترمه، وانا اعطى عهدا فوجب ان يلتزمه ومن ايمان ان يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي لاه من شططاته: «يعرف بين الناس بان كلمته موثق غليظة، لا خوف من نقضها ولا مطع في

اصطيادها، العهد لايد من الوفاء به، كما ان البين لايد من البر بها، ومناط الوفاء والبر ان يتعلق الامر بالحق والخير والا فلا عهد في عصيان ولا بمين في مائد وقد قال رسول الله: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليذكر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» ولا يسوغ لامرئ الاصرار على الوفاء بيمين، الحنث فيها افضل، وفي الحديث: «لان يلج الانسان عهدا بمعروف فيصرف همه في امصائه، ما دامت فيه عين تطرف، وليعلم ان منطلق الرحولة وهدي البين، لا يتركان له مجالا للتردد والانكفاء.

روى انس بن مالك قال: «غاب عني انس بن النضر عن قتال» بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لكن اشهدني الله مع النبي قتال المشركين ليرين ما اصنع فلما كان يوم «احد» اكتشف للمسلمون، فقال: اللهم اني اعترت اليك مما صنعت هؤلاء يعني اصحابه وابرا اليك مما صنع هؤلاء يعني للمشركين ثم تقدم... فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجثة ورب النضر اني لاجد ريحها من دون أحد! قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، ثم تقدم...

قال انس: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف ووطئته بالرمح ورمية بسهم، ووجدناه وقد مثل به للمشركون، فما عرفه الا اخته، بشاعة فيه، ما بيناته... قال انس: كنا نرى ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشيائه: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».



عُرف بالحلم والأناة ولين الجانب والرفق

أبو بكر السبّاق في فعل الخيرات ومكارم الأخلاق

حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب والرفق، وهذا لا يعني أن ابا بكر لم يكن بغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضبا شديدا.

لقد عاش بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مثاملا ومتكبرا» وعابلا بقوله تعالى: «وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين».

بلى أحب أن يغفر الله لي

كان أبو بكر يغول مسلط بن أناة، فلما قال في عائشة -رضي الله عنها- ما قال (حديث الألف المشهور) أقسم بالله أبو بكر ألا ينفعه أبدا، فلما أنزل الله -عز وجل-: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليفقوا ولينصنفوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» [التور: 22] قال أبو بكر: والله اني أحب أن يغفر الله لي، فرجع الى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

ولقد فهم الصديق من الآية أن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والزلز، فإن فعل فآله يعفو عنه ويسترد ذنوبه، وكما تدب نداء، والله سبحانه قال: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ اي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك الغفروا لمن ذنوبكم. وكما أن في الآية من حلف على شيء ألا يفعله، فرأى أن فعله أولي من تركه، آناه وكفر عن يمينه، وقال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى؛ من حيث لطف الله بالذقة العصاة بهذا اللفظ.

لقد دلت هذه الآية على أن ابا بكر أفضل الناس عند النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دلت على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة» منها: أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الافاضال، وذلك يدخل على أنه كان فاضلا على الإطلاق، وكان مفضلا على الإطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» بالجمع لا بالواحد وبالعجوم لا بالخصوص على سبيل المدح، وجب أن يقال: أنه كان خالبا عن المعصية؛ لأن المنود الى هذا الحد لا يكون من أهل النار.

اتصف الصديق بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقتها في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريضا أشد الحرص على الخيرات، فقد أبى أن ما يمكن أن يقوم به المرء اليوم قد يكون غير ممكن في الغد، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، ولذلك كان من المسارعين في الخيرات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» قال أبو بكر: آنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: آنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكنا؟» قال أبو بكر: آنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا؟» قال أبو بكر: آنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

كظمه للغيظ

قال ابو هريرة: ان رجلا شتم ابا بكر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل رد عليه ابو بكر بعض قوله، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقام، فلفحه أبو بكر وقال: يا رسول الله، كان يستمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت: فقال عليه الصلاة والسلام: «انه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأفعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا ابا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمنقلبة فيغضي عنها له -عز وجل- الا أعز الله بها زاده، وما فتح رجل باب عليه يريد بها صلة الا أزاله الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة الا أزاله الله بها فئة»، ان الصديق رضي الله عنه اتصف بكظم الغيظ ولكنه رد ما قلن الله به بسكت هذا الرجل، فرغبه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحلم والأناة، وأرشدته الى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ، فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويجمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويتبين لنا ذلك من هذا الموقف حرص الصديق على عدم الغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- للمساورة الى إرضائه، وفي دم الغضب للنفس، والتبني عنه والتحذير منه، واعتزال الانبياء للمجالس التي يحضرها الشيطان، وبيان الفضل للمظلوم الصابر المحتسب لأجره والثواب، وقبه حث على العطايا، وصلة الأرحام، ودم للمسالمة وأهلها.

وظل الصديق متمسكا بالحلم وكظم الغيظ



تزكية الأزواج بالتدبر والتأمل وأداء العبادات

البناء التعبدى والأخلاقى في العهد المكي

قال: الرحمن الرحيم: قال الله تعالى: «التي على عيدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: قال: مجدي عدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: عدي، ما بيني وبين عيدي ولعدي ما سأل، فإذا قال: أعبد الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعدي ولعدي ما سأل».

صلى الله عليه وسلم إذا حزه أمر صلى، وقد جعلت فرة عينه في الصلاة، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة كثيرا من السنن والنوافل ليزيدوا صلة بربهم، وتأمين بها نفوسهم، وتصبح الصلاة سلاحا مهما لحل همومهم ومشاكلهم.

الصلاة حاجز عن المعاصي: قال تعالى: «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكركم أكبر والله يعلم ما تصنعون».

كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يؤدون صلاتهم تتخرب بها نفوسهم، وتمدهم بقوة دافعة للفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات، فكانت لهم سباجا ميثقا حماهم من الوقوع في المعاصي.

في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر

من أدرانها وتتصل بخالفها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح قوفا وقوفا وإذا ودغقا قوفا إلى القيام بما تؤمر به.

إن الصلاة تأتي في مقدمة العبادات التي لها أثر عظيم في تزكية روح المسلم، ولعل من أبرز أنارها التي أصابت الرعيل الأول.

الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه: وقد ألقى الله تعالى على عبادہ المؤمنين الذين استجابوا لأمره، فقال عز وجل: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وآزره شؤرى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» [الشورى: 38].

وكان الرعيل الأول يرى أن لكل عمل من أعمال الصلاة عبودية خاصة وتأثيرا في النفس وتزكية للروح.

متاجرة العبد ربه: وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا من مشاهد هذه المتاجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عيدي نصفين، ولعدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبيدي، وإذا

تزكية أرواح الرعيل الأول بانواع العبادات: رزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على تزكية أرواحهم وارشدهم إلى الطريق التي تساعد على تحقيق ذلك المطلب من خلال القرآن الكريم ومن أمهات:

التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى.

التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون، بل ما في عالم الغيب والشهادة.

عبادة الله عز وجل، من أعظم الوسائل لتربية الروح وإجلها فدرا، إذ العبادة غاية التذلل لله سبحانه ولا يستحقها إلا الله وحده.

العبادات التي تسمو بالروح وتتهر النفس نوعان:

النوع الأول: العبادات المفروضة كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها. النوع الثاني: العبادات بمعناها الواسع، ويشمل كل شيء يتنوّى به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يلاب صاحبها، وقربى روحه تربية حسنة. إن تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه أمر مهم